

# الكتاب الرابع

اضمحلال الحرية اليونانية وسقوطها

من ٣٩٩ لك ٣٢٢ ق ٢٠



## ثبت مسلسل للحوادث التاريخية

### في الكتاب الرابع

ق . م .

- ٣٩٩ - ٦٠ أجلسوس ملك اسپارطة .
- ٣٩٧ - الحرب بين سراقوصة وقرطاجنة .
- ٣٩٦ - أرسطهوس في سيريني وأنتستانس في أثينة ، فيلسوفان .
- ٣٩٥ - أثينة تعيد بناء الأسوار اللولية .
- ٣٩٤ - واقعنا كرونيا وثيدس .
- ٣٩٣ - أبولوية أفلاطون ؛ ومرابلية أكسافوفون ، وإكلازوسية أرسطوفان .
- ٣٩٠ - ٢٨٧ ديونيشيوس ينضع إيطاليا الجنوبية .
- ٣٩١ - إسقراط يفتح مدرسته .
- ٣٩٠ - إنفوراس يصنع قبرص بالصينفة اليونانية .
- ٣٨٧ - صالح أنجلسداس ، أر صلح الملك ؛ أفلاطون يزور أرتقلياس التاراسي العالم الرياضي ، وديونيشيوس الأول .
- ٣٨٦ - أفلاطون ينشئ 'المجمع العلمي' (الأقاديمية) .
- ٣٨٣ - الاسبارطيون يحتلون كدمية عند طيبة .
- ٣٨٠ - بنديركس لإسقراط .
- ٣٧٩ - بلجيداس وميلون يحرران طيبة .
- ٣٧٨ - ٥٤ الإمبراطورية الأثينية الثانية .
- ٣٧٥ - ثباتيس ، العالم الرياضي .
- ٣٧٢ - ديمين السوني ، الفيلسوف .
- ٣٧١ - أپامينداس ينتصر عند لكترا .
- ٣٧٠ - ديوقليس الموي عالم الأجنة ، وديوكس النيدى الفلكي .
- ٣٦٧ - ٥٧ ديونيشيوس الثاني طاهرة في سراقوصة ، ديون يضع خطماً للإسلاح .
- ٣٦٧ - أفلاطون يزور ديونيشيوس الثاني .
- ٣٦٢ - أپامينداس ينتصر ويحوت عند منتمنيا .
- ٣٦١ - زيارة أفلاطون الثالثة لسراقوصة .

- ق . م . ق
- ٣٦٠ - بركستليز الأثيني ، واسكو پاس الباروسى المثالان ؛ إله ريس السيموس  
وثيوييميس الطثيوزى المؤرخان .
- ٣٥٩ - فليپ الثانى نائب الملك فى مقدونية .
- ٤٦ - ٣٥٧ الحرب بين أثينة ومقدونية .
- ٤٦ - ٣٥٧ نقي ديونيشيوس الثانى .
- ٤٦ - ٣٥٦ الحرب المقدسة الثانية .
- ٣٥٦ - مولد الإسكندر الأكبر ؛ حرق الميكل الثانى فوف إندوس ، مسرحية  
« فى السلم » لإسقراط .
- ٢٥٥ - مسرحية أريبيجستى إسقراط .
- ٢٥٤ - اغتيال ديون .
- ٤٩ - ٣٥٣ ثابوت هليكرنسس .
- ٢٥١ - « فليپ الأول » تأليف دمستين .
- ٢٤٩ - فليپ يهاجم أولنسس ، دمستين يكتب « أولثياكس الأول والثانى » .
- ٢٤٨ - هرقليدس الپنتوسى الفيلسفى ، اسبوسيبوس يخاف أفلاطون فى رياسته  
المجمع العلمى .
- ٢٤٦ - « فى السلم » تأليف دمستين ؛ « رسالة لفليپ » لإسقراط .
- ٢٤٤ - تيمليون ينقل سراقوصة ؛ « فليپ الثانى » تأليف دمستين .
- ٢٤٣ - محاكمة إسكنيز وتبرئته .
- ٢٨ - ٣٤٢ أرسطاطاليس معلم الإسكندر .
- ٢٤٠ - تيمليون يهزم القرطاجيين .
- ٢٢٨ - فليپ يهزم الأثينيين فى قيرونية ؛ موت إسقراط .
- ٢٣٦ - اغتيال فليپ ، ارتقاء الإسكندر ودارا الثالث عرشى بلادهما .
- ٢٣٥ - الإسكندر يجرى طية ويبدأ الحملة الفارسية .
- ٢٣٤ - أرسطاطاليس يفتح الوثيون ، واقعة نهر شرنيقوس ؛ نصب تذكارى .  
ليسقراطس .
- ٢٣٣ - واقعة إسوس .
- ٢٣٢ - حصار صور والاستيلاء عليها ؛ تسليم اورشليم ؛ تأسيس الإسكندرية .
- ٢٣١ - واقعة جوجيلا ( أبريل ) ؛ الإسكندر فى بابل والسوس .

- ق. ٢٠ -  
٢٣٠ - أبلز السيوف المصور ، اييوش الأرجوسى المثال ، مسرحية « فمه  
تسيفون » لإسكينز ؛ ومسرحية « على التاج » للمستين .  
٢٢٩ - ٢٨ الإسكندر يفزو آسية الوسطى .  
٢٢٧ - موت كليتىس وكلثينز .  
٢٢٧ - ٢٥ الإسكندر فى الهند .  
٢٢٥ - رحلة نيركس .  
٢٢٤ - نفى دمستين .  
٢٢٣ - موت الإسكندر ؛ الحرب اللامية .  
٢٢٢ - موت أرسطاطاليس ، ودمستين ، وديجين .
-

# الباب التاسع عشر

## فليب

### الفضل الأول

#### إمبراطورية اسبارطة

يسطت اسبارطة الآن سيادتها البحرية على بلاد اليونان ، ودامت لها هذه السيادة فترة قصيرة من الزمان مثلت في التاريخ مرة أخرى مأساة من مآسي النجاح يذل صاحبه الكبرياء . فهي لم تمنح المدن التي كانت من قبل خاضعة لأثينة ما وعدتها به من حرية ، بل فرضت عليها بدلا من هذا جزية سنوية مقدارها ألف وزنة ٦٠٠٠،٠٠٠ ريال أمريكي ) ، وأقامت في كل منها حكماً أرستقراطياً يشرف عليه حاكم لسده وفي تويده حامية اسبارطية . ولم تكن هذه الحكومات مستولة إلا أمام الحكام الاسبارطيين البعيدين عنها ، فأوغلت في الفساد والظلم إيفالا لم يلبث أن أوغر الصدور على الحكومة الجديدة أكثر مما كانت موغرة على الحكومة القديمة .

وفي اسبارطة نفسها كان سيل المال والهدايا المنهمر من المدائن الخاضعة لاستبدادها والأجركيين الأذلاء سبباً في تقوية العوامل الداخلية التي كانت تدفع المدينة دفعا إلى الانهيار . فلم يستهل القرن الرابع حتى تعلمت الطبقة الحاكمة كيف تجمع بين الترف في الحياة الخاضعة والبساطة في الحياة العامة ، وحتى الحكام أنفسهم لم يعودوا يتأدبون بأدب ليتورغ إلا في

المظهر الخارجى دون غيره . وانتقل الكثير من الأراضي عن طريق البائئات والوصايا إلى النساء ؛ وهذه الثروة المكسدة جعلت النساء الاسبارطيات - وهن اللاتي لم يكن يتحملن عبء تربية الذكور من الأبناء - يحيين حياة مريحة متحللة من القيود الأخلاقية لا توائم الأنوثة بحال من الأحوال . هذا إلى أن ما تعاقب على بعض الضياع من تقسيم في إثر تقسيم قد أفقر بعض الأسر فقراً عجزت معه عن تقديم نصيبها من الطعام العام ، ففقدت بذلك ما كان لها من حقوق المواطنة ، على حين أن تضخم بعض الثروات الأخرى عن طريق الزواج والوصايا قد أوجد لدى العدد القليل من « الأنداد » الباقين ثروات كبيرة مركزة أثارَت الغيرة والحسد في القلوب (\*) . وفي ذلك يقول أرسطاطاليس : « من الاسبارطيين من يمتلك ضياعاً واسعة ، ومنهم من لا يكادون يمتلكون شيئاً على الإطلاق ، فالأرض بأجمعها في أيدي عدد قليل منهم (٣) » . وتكون من الطبقات العليا التي فقدت حقوقها السياسية ومن البريسيين المعرومين من هذه الحقوق ، والهيلوتيين الخائنين ، مجموعة من الأهلين يضطرب في نفوسها من القلق والعداء ما لا يسمح للحكومة أن تقدم على شيء من المغامرات العسكرية الخارجية التي يتطلبها الحكم الإمبراطورى إقداماً يشغلها زمناً طويلاً في أماكن واسعة .

وكانت الحرب الأهلية القائمة في بلاد الفرس وقتئذ تشكل مصائر بلاد اليونان ؛ فقد ثار قورش الأصغر في عام ٤٠١ على أخيه أرتخشتر الثاني ، واستعان عليه بأسبارطة ، وجند جيشاً من آلاف اليونان وغيرهم من الجنود المرتزقة الذين أصبحوا ولا عمل لهم في آسية على أثر انتهاء حرب الهلويونيز الفجائى . والتقى الأخوان المتقاتلان في كونكساي بين دجلة والفرات وقرب ملتقاهما . وهزم قورش في هذه الواقعة وقتل وأسر جيشه كله أو أبعد عدا فرقة مؤلفة من اثني عشر ألفاً من اليونان استعانوا بسرعة بديتهم وإقدامهم

(٥) كان عدد المدبورى Homoiot أو « الأنداد » ثمانية آلاف في عام ٤٨٠ ، وألفين

في عام ٢٧١ وسبعمائة في عام ٢٤١ .

على الحرب إلى داخل بلاد بابل . وطاردتهم قوات الملك فاختروا على طريقهم الديمقراطية الساذجة ثلاثة قواد يهدونهم سبيل السلامة . وكان من بين هؤلاء القواد أكسانوفون الذي كان في يوم من الأيام تلميذاً لسقراط ، والذي كان وقتئذ جندياً شاباً مغامراً ، قدر له أن يتخذ اسمه على الأخص بمؤلفه المعروف بالأناباسيس Anabasis أو الصعود الذي وصف فيه وصفاً بسيطاً رائعاً « ارتداد العشرة الآلاف » الطويل متبعين مجرى نهر الفرات نحو منبعه وفوق تلال كردستان وأرمينية إلى البحر الأسود . وكان هذا الارتداد من أعظم المغامرات في تاريخ البشر . وإنا لتدهشنا أشد الدهشة بسالة هؤلاء اليونان وهم يشقون طريقهم سيراً على أقدامهم يوماً بعد يوم خمسة شهور كاملة ، قطعوا في اثنتائها ألفي ميل كاملة في بلاد معادية لهم ، واجتازوا سهولاً قاذلة لا يجدون فيها طعاماً ، وطرقاً وعرة خطيرة فوق الجبال تراكم فيها الثلوج إلى عمق ثمان أقدام ، يتعرضون فيها لهجمات الجيوش والعصابات المسلحة من خلفهم وأمامهم ، وعن أيمانهم وشمالهم ، ولا يترك أهل البلاد وسيلة إلا اتبعوها لقتلهم أو إضلالهم أو سد الطريق في وجوههم . ونحن حين نقرأ هذه القصة الرائعة ، التي شوهدت في شبابتنا إرغامنا على ترجحتها ، نترك أن أهم سلاح تحتاجه الجيوش هو سلاح الطعام ، وأن مهارة القائد في تدبير المئون لجيشه لا تقل أهمية عن مهارته في تدبير الفوز في المعركة . وقد هلك من هؤلاء اليونان من التعرض للعوامل الجوية أكثر من هلك منهم في الوقائع الحربية ، وإن كانت هذه الوقائع لم تنقطع يوماً واحداً . ولما أن وقعت عيون الباقين منهم أحياء ، وكانت عدتهم ٨٦٠٠ ، على بحر اليوكسين عند تريزي ( طريزون ) غمرت قلوبهم موجة من السرور :

« ولم تكدم مقدمتهم تصل إلى قمة الجبل حتى علت في الجو صيحة شديدة سمعها أكسانوفون ومن في المؤخرة فخيّل إليهم أن أعداء آخرين يهاجمون المقدمة لأن الأعداء كانوا يقتفون آثارهم من خلفهم . . . فاستحثوا الخطى إلى

الأمام ليساعدوا رفاقهم ، وسرعان ما سمعوا الجنود يصبحون « البحرا البحرا » والصيحة تنتقل من صف إلى صف . وبحينئذ هروا جنود المؤخرة جميعهم ، وأخذت دواب الحمل تتسابق إلى الأمام . . . ولما صعدوا جميعاً إلى قمة الجبل أخذ كل منهم يعانق زميله ، لا فرق بين الجنود والضباط والقواد ، والدروع تترقرق في أعينهم من فرط السرور (٤) .

ذلك أن هذا البحر بحر يوناني وأن مدينة تراپيزى مدينة يونانية ، فهام أولاء قد وصلوا سالمين ، وفي وسعهم أن يستريحوا ولا يخشوا أن يفاجئهم الموت في سكون الليل . وترددت أصدااء جهودهم المضنية في طول بلاد هلاس القديمة وعرضها ، وشجعت فليب بعد مائتي عام من ذلك الوقت على الاعتقاد بأن قوة يونانية حسنة التدريب خليقة بأن يركن إليها في هزيمة جيش فارسي يفوقها في العدد أضعافاً مضاعفة . وهكذا مهد أكسانوفون على غير علم منه السبيل إلى الإسكندر .

ولعل أجلسوس الذى اعتلى عرش اسپارطة في عام ٣٩٩ قد شعر بهذا الأثر . فلقد كان في الاستطاعة إقناع بلاد الفرس أن تغفر لاسپارطة لإقدامها على معونة قورش ، لكن هذا الملك ، وهو أقدر ملوك اسپارطة على الإطلاق ، لم يكن ينظر إلى حرب الفرس أكثر من نظرته إلى مغامرة ممثلة ، ولذلك سار على رأس قوة صغيرة ليحور جميع بلاد آسية اليونانية من حكمهم (٥) . ولما علم أرتخشتر الثانى أن أجلسوس لم يكن يأتى عناء في تشييت شمل جميع الجيوش الفارسية التي أرسلت لصدده ، بعث الرسل يحملون كيات كبيرة من الذهب إلى أثينة وطيبة ليرشوا بها هاتين المدينتين كى تعلن الحرب على اسپارطة (٦) . وسرعان ما أفلح هؤلاء الرسل في مهمتهم ، وتجددت الحرب بين اسپارطة وأثينة بعد أن دامت السلم بينهما تسعة أعوام . واستدعى أجلسوس من آسية ليواجه جيوش أثينة وطيبة مجتمعاً عند

---

(٥) وقال ديلد : « في أى شيء يملو ملك الفرس ، إلا إذا كان أكثر من استقامة وأشد من كسباً بلطاح لدهه ؟ » (٥) .

كرونيا . واستطاع أن يهزمها بشق الأنفس ؛ ولكن أسطولي أثينة وفارس مجتمعين بقيادة كونون Conon دمرا الأسطول الاسبارطي قرب نيدس بعد شهر واحد من ذلك الوقت وقضيا بذلك على ما كان لاسبارطة من سيادة بحرية قصيرة الأجل . وابتهجت أثينة بهذا النصر المؤزر وأخذت تعمل بجد ستعينة بما أمدتها به فارس من المال لإعادة بناء أسوارها الطويلة . ودافعت اسبارطة عن نفسها بأن أرسلت رسولا يدعى أنتلسداس Antalcidas إلى الملك العظيم يعرض عليه أن تسلمه المدن اليونانية في آسية ليحكمها الفرس إذا فرضت فارس على مدن اليونان الأصلية صلحاً يحمي اسبارطة من العدوان . ووافق الملك العظيم على هذا الشرط ، وامتنع عن مساعدة أثينة وطيبة بالمال ، وأرغم المتنازعين جميعاً على أن يوقعوا في سرديس ( ٣٨٧ ) « صلح أنتلسداس » أو « صلح الملك » وأعطيت بمقتضى هذا الصلح لمنوس ، وأميروس ، وسيروس إلى أثينة ، وضمن الاستقلال للدول اليونانية الكبرى ؛ ولكنه أعلن أن جميع المدائن اليونانية في آسية ، وجزيرة قبرص ، قد أضححت للملك العظيم . ووقعت أثينة على شروط الصلح بعد أن احتجت عليها لعلنها أن هذه كانت أكثر الحوادث إذلالاً لها في تاريخ اليونان كله . وهكذا ضاعت ثمار نصر مرثون كلها ، وظلت أثينة ضائعة جيلاً كاملاً ، وبقيت دول اليونان الأصلية جرة بالاسم ، أما في واقع الأمر قد ابتلعتها قوة الفرس . ونظرت بلاد اليونان بأجمعها إلى اسبارطة نظرتها إلى الخائن الغادر ، وأخذت تنتظر على أحر من الجمر أن تقوم أمة من الأمم تهلكها وتدمرها .

## الفصل الثاني

### إپامينداس

وكانما أرادت اسبارطة أن تقوى هذا الحقد في صدور الدول اليونانية الأخرى ، فادعت لنفسها حق تفسير شروط « صلح الملك » ، وإرغام هذه الدول على الخضوع لها . وأرادت أن تضعف قوة طيبة فأصرت على أن الحلف البوثوني لا يتفق مع الشرط القاضى باستقلال الدول اليونانية الكبرى وحتمت حله . وتذرعت اسبارطة بهذه الحججة فأقامت في كثير من المدن البوثوية حكومات أبحرية موالية لها ، تؤيدها في كثير من الحالات حاميات اسبارطية ، ولما احتجت طيبة على هذا العمل استولت قوة لسديمونية على كدميا Cadmeia معقلها الحصين ، وأقامت فيها حكومة أبحرية خاضعة لسيطرة اسبارطة . وأثارت هذه الأزمة في نفس طيبة بطولة لا عهد لها بها . فاغتال پلپيداس Plopidas وستة من رفاقه طغاة طيبة الأربعة صنائع اسبارطة ، وأعادوا إلى المدينة حريتها واستقلالها . وأعيد تنظيم الحلف واختير پلپيداس زعيماً له ، واستدعى پلپيداس لمعونه صديقه وحييب إپامينداس ، فدرّب الجيش الذى أعاد اسبارطة إلى عزلتها القديمة ، وقاده بنفسه في المعارك التى انتهت بهذه النتيجة .

وكان إپامينداس من أسرة عريقة أخفى عليها الدهر تفخر بأن ترجع بأصولها إلى أنياب الهولة التى زرعها كدمس قبل مولده بألف عام . وكان رجلاً هادئاً قليل عنه إنه ليس بين الناس من هو أقل منه كلاماً أو أكثر منه معرفة (٧) ؛ وقد حيبه إلى أهل طيبة ، على الرغم من النظام العسكرى الذى أخذهم به ، تواضعه واستقامته ، وحياته التى لا تكاد تفرق في شيء عن حياة الزهاد ، وإخلاصه لأصدقائه ، وسداد رأيه إذا استنصح ، وشجاعته

المصحوبة بالتؤدة ، ضبط النفس وقت العمل : ولم يكن يحب الحرب ولكنه كان يعتقد أنه لا توجد أمة على ظهر الأرض تستطيع الاحتفاظ بحريتها إذا فقدت روحها وعاداتها الحربية . ولما اختير المرة بعد المرة رئيساً للحلف البوثي حذر الذين أرادوا أن يعطوه أصواتهم بقوله : « فكروا في الأمر مرة أخرى لأنى إذا ولتيموني قيادتكم سأضطركم إلى الخدمة في جيشي » (٨) .

ودرب الطيبون المتراخون تحت قيادته حتى صاروا جنوداً بواصل ، وحتى العشاق اليونان الذين كثر عددهم في المدينة آلف منهم بليداس « عصابة مقدسة » تبلغ عدتها ثلاثمائة من المحاربين قطع كل منهم على نفسه عهداً بأن يقف في المعركة إلى جانب صديقه حتى يموت .

ولما غزا بووتية جيش اسبارطى عدته عشرة آلاف جندى يقوده الملك كليبروتس ، التقى به إلامينداس عند لكثرا بالقرب من پلاتية ومعه ستة آلاف رجل وانصر عليه نصراً كان له أعظم الأثر في تاريخ اليونان كله وفي أساليب أوروبا العسكرية . وكان هو أول يونانى وجه عنايته إلى دراسة الحركات العسكرية ، وكان يقدر على الدوام أنه سيواجه في كل معركة عدواً يفوقه في عدد الرجال ، فكان يركز نخبه مقاتليه ليهاجم بهم أحد جناحي العدو ؛ ثم يأمر بقية الجيش أن تلتزم خطة الدفاع ، فإذا تقدم العدو في القلب أمكن تشتيت شمله بهجوم على جناحه الأيسر . ولما تم له النصر في واقعة لكثرا زحف هو وبليداس إلى الپلوپونيز وحررا مسينيا من تبعيتها لإسپارطة التي دامت قرناً من الزمان ، وأسسا مدينة مغالوپوليس لتكون معقلاً لجميع الأركاديين . ونزل الجيش الطيبى إلى لكونيا نفسها ؛ وتلك حادثة لم يكن لها مثل منذ مئات من السنين ، ولم تستفق إسپارطة قط مما لحق بها من الخسارة في هذه الحملة : « فلم تستطع » على حد قول أرسطاطاليس « أن تفتيق من هزيمة واحدة ، وقضى عليها قلة عدد مواطنيها » (٩) .

ولما أقبل فصل الشتاء انسحب الطيبون إلى بووتية . واغتر إلامينداس

بالنصر كما كان يغتر به سائر قواد اليونان المنتصرون ، فبدأ يفكر في إنشاء إمبراطورية طيبة تحمل محل الوحدة التي أفاعتها زعامة أثينة أو اسبارطة من قبل على بلاد اليونان ، وقد جرت هذه الخطة إلى محاربة الأثينيين ، وأرادت اسبارطة أن تسترد مكانتها السابقة فتحالفت مع أثينة ، والتقت جيوش الأعداء عند منتينيا عام ٣٦٢ ق . م ، وانتصر إلامينداس في هذه المعركة ، ولكنه قتل في أثناءها بيد جرلس Gryllus بن أكسانوفون . ولم تجن هلاس خيراً دائماً من زعامة طيبة القصيرة . نعم إنها حررت بلاد اليونان من طغیان اسبارطة ، ولكنها عجزت ، كما عجز من قبلها ، عن أن توجد خارج نطاق بوئوتة وحدة متجانسة متماسكة ؛ وكان من أثر النزاع الذي خلقتة في بلاد اليونان أن أضحت الدول اليونانية من أثره مضطربة ضعيفة عاجزة عن لقاء فليب حينما انقض عليها من الشمال .

## الفصل الثالث

### الإمبراطورية الأثينية الثانية

وحاولت أثينة للمرة الأخيرة أن تؤلف هذه الوحدة : واستطاعت بفضل أسوارها الطويلة ، وأساطيلها التي جددت بناءها ، وماليتها الثابتة الموثوق بها ، وما تيسر لها من زمن بعيد من الوسائل المالية والتجارية ، استطاعت بفضل هذا كله أن تستعيد ما كان لها من سيادة تجارية في بحر إيجه . وكانت الدول التي خضعت لها من قبل والدول المتحالفة معها قد علمتها الحروب التي دامت خمسين عاماً كاملة أنها في مسيس الحاجة إلى سلامة أعظم مما تهيوه لها السيادة الفردية ، ولهذا اتحدت معظم هذه الدول مرة أخرى في عام ٣٧٨ بزعامة أثينة ، ولم يحل عام ٣٧٠ حتى كانت هذه المدينة مرة أخرى أقوى الدول سلطاناً في شرق البحر الأبيض المتوسط .

وكانت الصناعة والتجارة هما وقتئذ عماد حياتها الاقتصادية . ذلك أن أرض أتكالم تكن في يوم من الأيام مما يوائم الزراعة الجماعية . نعم إن العمل الشاق الطويل قد جعلها أرضاً مشمرة بفضل عناية الأهلين بأشجار التوت وبالكروم ؛ ولكن الإسبارطين كانوا قد دمروا هذه الغروس ، وقلما كان من المزارعين من يستطيع الصبر نصف جيل حتى تثمر بساتين الزيتون الجديدة ثمارها . وكان معظم الزراع الذين عاشوا قبل الحروب قد قضوا نحبهم ، وكان معظم من بقي من الزراع قد دب اليأس في نفوسهم فنتعمهم أن يعودوا إلى أملاكهم المخربة فباعوها بأبخس الأثمان لملاك يستغلونها وهم بعيدون عنها ، وفي وسعهم أن يستثمروا أموالهم فيها استثماراً طويلاً الأجل . وبهذه الطريقة ، وبانتزاع ملكية الأراضي الزراعية المثقلة بالدين ، انتقلت هذه الأراضي في أنكا إلى أيدي عدد قليل من الأسر كانت

تستغل كثيراً من المزارع الواسعة بجهود الأرقاء (١٠) ، وأعيد فتح مناجم لوريوم ، وأرسل إلى الحفر ضحايا جدد ، وتكونت ثروات جديدة من الفضة الغفل ومن الدماء البشرية ، وعرض أكسانوفون (١١) طريقة ظريفة تستطيع بها أئينة أن تملأ خزائنها بالمال ، ولا تكلفها أكثر من أن تشتري مائة ألف من الأرقاء تؤجرهم إلى المقاولين في لاريوم . وأثمرت هذه الطريقة ثمرتها المرجوة فاستخرجت من الفضة مقادير تفوق ما كان ينتج من السلع ، فارتفعت الأثمان أسرع من ارتفاع الأجور ، ووقع عبء هذا الانقلاب على كاهل الفقراء : وازدهرت الصناعة وتلقت محاجر بنتلكس مصانع الفخار في السرمكس طلبات من عالم بحر إيجه كله . وجمع بعضهم ثروات طائلة بشراء منتجات الصناعات اليدوية أو المصانع الصغيرة بأثمان بخسة وبيعها بعدئذ بأعلى الأثمان في الأسواق المحلية أو الخارجية . وسرعان ما تضاعف عدد المصارف المالية في أئينة تبداً بنمو التجارة وتجمع الثروة النقدية بدل الثروة العقارية . وتلقت هذه المصارف كثيراً عن النقود أو اللخائر القيمة لحفظها لديها ، ولكن يلوح أنها لم تكن تؤدي فوائد من هذه الودائع . وسرعان ما وجد أصحاب المصارف أن هذه الودائع لا تسترد كلها في وقت واحد في الظروف العادية ، فشرعوا يقرضون المال بفوائد عالية ، وقتصروا في بادئ الأمر على إقراض المال دون الاشتغال بوسائل الائتمان الأخرى ، فكانت تضمن عملاءها ، وتحصل لهم مطلوباتهم ، وتقرض النقود بضمان العقار أو النفائس ، وتعد السفن التي تنقل البضائع بحاجة من المال . وكان في وسع التاجر ، بفضل هذه المصارف وأكثر من هذا بفضل القروض التي يقدمها الأفراد مجازفة منهم ومضاربة بلخي الأرباح الطائلة ، أن يستأجر سفينة ينقل عليها بضاعته إلى إحدى الأسواق الأجنبية ، ويشتري منها بدل هذه البضاعة شحنة أخرى ، وإذا وصلت إلى برية بقيت فيها ملكاً لأصحاب الديون حتى يستردها ديونهم (١٢) : ولما تصرم بعض القرن الرابع نشأ نظام من نظم الائتمان الحقيقي : فشرح

أصحاب المصارف يصلحون خطابات الاعتماد ، والأذون المالية ، والتحاويل المصرفية بدل أن يقدموا النقود ؛ وهذه الطريقة أصبحت الثروة تنتقل من عميل إلى عميل بتدوينها في سجلات المصارف لا غير<sup>(١٣)</sup> . وكان رجال الأعمال أو أصحاب المصارف يصلحون السندات للحصول على القروض التجارية ، حتى صارت هذه السندات جزءاً كبيراً من كل شركة . وكان لبعضهم - كالمعتوق پاسيون مثلاً - صلات مالية متشعبة ، واشتهروا بين الناس بأمانتهم ونزاهتهم فوثقوا بهم ، وكانت سنداتهم موضع الثقة في جميع بلاد اليونان : وكان لمصرف پاسيون Pasion أقسام متعددة يعمل فيها عدد كبير من الموظفين معظمهم من الأرقاء ، ويحفظ بطائفة كبيرة من السجلات المختلفة الأنواع تدون فيها كل عملية مالية بعناية فائقة جعلت في المحاكم أدلة لا يقبل الطعن فيها . ولم يكن إفلاس المصارف أمراً غير مألوف ، ويحدثنا المؤرخون عما كان يحدث من « ذعر » مالي يغلق فيه مصرف بعد مصرف أبوابه<sup>(١٤)</sup> . وكانت توجه أحياناً إلى المصارف ، ومنها أعظمها نفوذاً ، تهتم خطيرة من سوء استعمال ما آل إليها من سلطان ، وكان الناس ينظرون إلى رجال المصارف نظرة يجتمع فيها من الحسد والإعجاب ، والكرهية مثل ما يجتمع في نظرة الفقراء إلى الأغنياء في جميع العصور<sup>(١٥)</sup>

وأنتج تبدل الثروة من عقارية إلى منقولة كفاحاً شديداً للحصول على المال ، وكان لا بد للغة اليونانية من أن تخترع لفظاً تعبر به عن هذه الشهوة الجارحة للحصول على « أكثر فأكثر » من المال ، فأطلقت عليها لفظ « بليونكسيا Pleonexia » ولفظاً آخر يعبر عن الانهماك في طلب الثراء « كرماتستيكي Chrematistike » . وأخذت السلع والخدمات من ذلك الوقت تقلد قيمتها بالمال ، بل إن الناس أنفسهم أصبحوا يقدرون به وبما يمتلكون منه ، وأصبحت الثروات تتكون ثم تزول بسرعة لا عهد للناس بها ، وتنفق في مظاهر من البذخ لو شهدتها أئينة في عصر بركليز لارتاعت واهتزت منها مشاعرها . فأخذ « الأثرياء المحدثون » ( وكان له

عند اليونان اسم خاص هو نيوبلوتوى (neoplutoi) يشيدون البيوت الكثيرة الزخرف ، ويزينون نساءهم بالملابس والجواهر الغالية ، ويفسدونهن بكثرة الخدم ، وأصبح تقديم أغلى أصناف المأكول والمشرب للضيوف دون غيرها من المأكوت والمشروبات هو القاعدة المقررة المألوفة (١٦) .

وانتشر الفقر وسط هذه الثروة الطائلة ، ذلك بأن حرية التبادل وأنواعه المختلفة اللتين أمكنتنا مهرة الناس من جمع المال جعلتنا السذج منهم يفقدونه أسرع مما كانوا يفقدونه من قبل ، فكان الفقراء في نظام الاقتصاد التجاري الجليد أفقر نسبياً مما كانوا في أيام استرقاقهم في أملاك الإقطاعيين ؛ فكان الفلاحون في الريف يكدحون ليحصلوا بكدحهم وعرقهم على قليل من الزيت أو الخمر ؛ وفي الحواضر ظلت أجور العمال الأحرار منخفضة المستوى بسبب منافسة الأرقاء ؛ وكان مئات من المواطنين يعتمدون في معيشتهم على الأجور التي يتألفونها نظير حضور جلسات الجمعية أو المحاكم ؛ ولم يكن آلاف من الناس يجدون طعاماً إلا ما تقدمه لهم المعابد أو الدولة ، ولا يملكون شيئاً . وفي عام ٤٣١ وبلغ عدد من لا يملكون شيئاً قط من الناخبين (دع عنك عدد السكان بوجه عام) خمسة وأربعين في المائة من مجموعهم الكلي ، فلما حلت سنة ٣٣٥ ارتفعت هذه النسبة إلى سبعين وخمسين في المائة (١٧) . ونقدت الطبقات الوسطى ، التي كانت لكثرة عددها وسلطانها تحفظ التوازن بين الأشراف والعامّة ، جزءاً كبيراً من ثروتها ، ولم يعد في وسعها أن تتوسط بين الأغنياء والفقراء ، بين المتحفظين الشديدي العناد والخياليين المتطرفين ، وبدلك انقسم المجتمع الأثيني إلى « مدينتي » أفلاطون - « إحداهما مدينة الفقراء والأخرى مدينة الأغنياء ، وكناهما في حرب مع الأخرى » (١٨) . وأخذ الفقراء يضعون الخطط لسلب مال الأغنياء بالتشريع أو الثورة ، كما أخذ الأغنياء ينظمون أنفسهم جماعات لانتقاء شر الفقراء . ويقول أرسطاطاليس إن المنتمين إلى بعض النوادي البحرية كان كل منهم يقسم بأن « أكون علو الشعب »

(أى العامة) « وأن أوذهم في المجلس يكل ما أستطيع من الأذى » (١٩) .  
وقد كتب إسقاط حوالى عام ٣٦٦ يقول : « لقد أصبح الأغنياء ينفرون  
من سائر الطبقات الأخرى نفوراً يفضلون معه أن يلقوا بثروتهم في البحر  
عن أن يعينوا بشيء منها المحتاجين على حين أن الرقيق الحال يسرهم أن  
ينتهبوا أموال الأغنياء أكثر مما يسرهم العثور على كنز ثمين » (٢٠) .

وانحاز عدد متزايد من أفراد الطبقات المتعلمة إلى جانب الفقراء (٢١) .  
ذلك بأنهم كانوا يهتمون بالتجارة ورجال المصارف لما بدا لهم من أن ثروتهم  
تتناسب تناسباً عكسياً مع ثقافتهم وأذواقهم . وحتى الأغنياء من هؤلاء العلماء  
أخذت تلور بخلدتهم أفكار شيوعية . وكان بركليز قد اتخذ من الاستعمار  
صمام أمان ليقفل به حدة النزاع بين الطبقات (٢٢) ؛ ولكن ديونيشيوس كان  
يسيطر على الغرب ، ومقدونيقي كانت تمد أملاكها في الشمال ، فأخذت الصعاب  
ترداد في سبيل فتح أئينة بلاداً جديدة والاستقرار فيها . واستحوذ الفقراء في  
آخر الأمر على جميع السلطة في الجمعية وشرعوا يقررون مصادرة أموال  
الأغنياء ويحولونها إلى خزائن الدولة ، لتوزعها من جديد على المحتاجين  
والناخبين عن طريق المشروعات الحكومية والأجور (٢٣) . وأخذ رجال  
السياسة يبدلون كل ما في وسعهم من جهود ويستخدمون كل ما وهبوا من  
ذكاء ليكشفوا عن موارد جديدة لزيادة إيرادات الدولة ، فضاغفوا الضرائب  
غير المقررة ، والضرائب الجمركية على الواردات والصادرات ، وضريبة  
الواحد في المائة على نقل الملكية العقارية ، وظلوا في وقت السلم يجبون الضرائب  
غير الاعتيادية التي قررت زمن الحرب ، وأخذوا يطالبون بالتبرعات  
« الاختيارية » ، وفرضوا على الأغنياء « فروضا » أو « خدمات » جديدة  
متزايدة لتمويل المشروعات العامة من أموالهم الخاصة . وكانوا يلجأون بين  
الفينة والفينة إلى مصادرة الأموال ونزع الملكيات ، ووسعوا نطاق ضريبة  
الإيراد حتى شملت مستويات من الثروة أدنى مما كانت تشملها من قبل (٢٤) ،

وكان في وسع كل من يلتقى عليه عبء إحدى الخدمات العامة أن يستعين بالقانون لكي يرغم غيره على أدائها إذا استطاع أن يثبت أن هذا الممول الثاني أكثر منه ثروة ، وأنه لم تفرض عليه خدمة ما في خلال سنتين . وعملوا على تسهيل جميع الإيراد بتقسيم دافعي الضرائب إلى مائة جماعة من الشركاء . فكان يطلب إلى أغنى الأعضاء في كل جماعة أن يؤديوا في بداية كل سنة ضرائبية جميع الضريبة المفروضة على هذه الجماعة طوال السنة ، ثم يترك لهم بعدئذ أن يجبوا في خلال السنة ما يخص غيرهم من الأعضاء بما يرونه من الوسائل .

وكانت نتيجة هذه الفروض أن أخذت الجماعات والأفراد تخفي ثروتها وإيرادها إخفاء تاماً ، وانتشر التهرب من الضرائب بين الناس جميعاً ، وتفتنوا في أساليبه تفتن الدولة في فرضها وجبايتها . وفي عام ٣٥٥ عين أندروتيون Androtion على رأس فرقة من رجال الشرطة مهمتها البحث عن الإيرادات الخبوءة ، وجباية الضرائب المتأخرة ، وحبس الذين يفرون من الضرائب ، فكانت تكبس البيوت وتصادر الأمتعة ، ويلقى الرجال في السجون . ولكن الثروة مع ذلك ظلت تخفي أو تدب . وقال إسقراط الشيخ الغني الغاضب في عام ٣٥٣ يشكو مما فرض عليه من خدمات : « لما كنت في صباى ، كانت الثروة تعد من الأشياء المأمونة التي يعجب بها الناس ، حتى كان الواحد منا يتظاهر بأن لديه أكثر مما يملك فعلاً . . . أما الآن فقد أصبح من واجب كل إنسان أن يدفع عن نفسه تهمة الغنى ، كأن هذا أشنع الجرائم » (٢٥) . ولم تكن الطريقة التي اتبعت في غير أثينا لمنع تركيز الثروة تستند إلى القنون كما كانت تستند إليه فيها . من ذلك أن المدينين في مطيني قتلوا دائنهم جملة بحجة أنهم جياع ، وأن الديمقراطيين في أرغوس (٣٧٠) انقضوا فجأة على الأغنياء وقتلوا منهم ألفاً ومائتين ، وضادروا أملاكهم ، وعقدت الأسر الغنية في غير هذه من الدول التي كان العداء قائماً بينها لغير هذا من الأسباب حلفاً سرياً تعهدت فيه أن يساعد بعضها بعضاً إذا قامت

في إحداها ثورات شعبية . وأخذت الطبقات الوسطى تحذو حذو الطبقات العليا في عدم الثقة بالديمقراطية وترى أنها حسد أتيح له السلطان ، كما أخذ الفقراء يفقدون ثقتهم فيها ويرونها مساواة زائفة بين الناخبين تنقضها الفروق الهائلة بين الثروات . وقد تركت هذه الأحقاد المريرة بين الطبقات بلاد اليونان منقسمة على نفسها داخلياً ودولياً حين انقضض عليها فليب ، حتى لقد رحب بقدمه كثيرون من الأغنياء في المدن اليونانية ، ورأوا أنه لولاه لما كان هناك مفر من اندلاع هيب الثورة في أرجائها (٣٦) .

وسار الانهيار الحلقي مع ازدياد الترف واستنارة العقل جنباً إلى جنب ، واعتزت العامة بخرافاتها واستمسكت بأساطيرها ، فقد كانت آلهة الأوملبس تلفظ أنفاسها الأخيرة ولكن آلهة أخرى كانت تولد ، فكانت أرباب غربية مثل إيزيس وأمون ، وأثيس ، وبنديس ، وسبيل ، وأدنيس تستورد من مصر وآسية ؛ وجمع انتشار الأرفية عبادة جدد للديونشس في كام يوم . ولم يكن للدين التقليدي القديم فائدة تذكر لطبقة الملاك الوسطى النصف الأجنبية الآخذ شأنها في الارتفاع ، فلم تكن آلهة المدينة التي ترعاها تنال من هذه الطبقة إلا الاحترام الصوري الرسمي ، ولم تعد توحى إلى أفرادها بالمبادئ الحلقية أو الإخلاص للدولة والولاء لها (\*) . وكافحت الفلسفة لكي تجد في الولاء السياسي ومبادئ الأخلاق الطبيعية بديلاً من الأوامر الإلهية ، أو أن تتخذ منها رباً يرقب الناس من علي ، ولكن قل من المواطنين من كان يهمله أن يعيش عيشة البساطة السقراطية أو عيشة رجل سقراط السامى « ذى العقل العظيم » .

ولما فقد دين الدولة سلطانه على الطبقات المتعلمة زاد بالتدرج تحرر الأفراد

---

(\*) يقول أفلاطون (في القوانين صفحة ٩٤٨) : « والآن وفي الناس طائفة لا يؤمن قط بوجود الآلهة ... أصبح الواجب وضع شرائع تستند إلى العقل وتنزع حداً للإيمان التي تقسمها كلتا الطائفتين » .

( شکل ۴۰ ) قش بادز من مربع فکرتس (المنف لبریطانی )



من القيود الأخلاقية القديمة - فتحرر الابن من سلطان أبيه ، وتحرر الذكور من الزواج ، وتحررت المرأة من الأمومة ، وتحرر المواطن من التبعية السياسية . وما من شك في أن أرسطوفان قد بالغ في وصفه لهذه التطورات ، وإذا كان أفلاطون ، وأكسانوفون ، وإسقراط كلهم يتفقون معه في رأيه ، فإنهم كانوا جميعاً من المحافظين الذين ترتعد فرائضهم من مثال الجليل الناشئ الجديد . وتحسنت أخلاق الناس في الحبيب خلال القرن الرابع ، وجاءت موجة من الإنسانية المستنيرة . أعقاب تعاليم يوربديز وعسقراط والمثل الذي ضربه للناس أجسلوس<sup>(٣٧)</sup> . ولكن الآداب والجنسية السياسية ظلت سائرة في طريق الانهيار ، وزاد عدد العزاب والسراري وأصبحت الصلات بين هؤلاء وأولئك هي الطراز الحديث الذي يهواه الناس ، كما أن الاتصال الحر بين الرجال والنساء أصبحت له الغلبة على الزواج الشرعي<sup>(٣٨)</sup> . انظر مثلاً إلى هذا السؤال الذي يسأله أحد الأشخاص في مسلاة ألقت في القرن الرابع : « أليست الحظيعة مرغوباً فيها أكثر من الزوجة ؟ ولم لا ؟ إن إحداهما في جانبها القانون الذي يرغمنا على الاحتفاظ بها ، مهما تكن كارهين لها ، أما الأخرى فهي تعلم أن من واجبها أن تتسلط على الرجل بحسن سلوكها ، وإلا فإن عليها أن تبحث لها عن رجل غيره<sup>(٣٩)</sup> ، وعلى هذا النحو عاشر بركستليز ومن بعده هيربديز Hypericides فريني Phryne ، وعاشر أرسطوبوس لئيس Lais ، وعاشر أستلبو Stilpo نكريتي Nikaaete ، وعاشر ليسياس ميترا Metaneira ، وعاشر إسقراط الصارم لجسكيوم Lagiscium<sup>(٤٠)</sup> . وفي ذلك يقول ثيويميس مبالغاً في قوله كمادة رجال الأخلاق : « لقد كان الشبان يقضون كل أوقاتهم بين السراري والقيان . ، أما الذين هم أكبر من هؤلاء قليلاً فكانوا منهمكين في الميسر والفسق ، وكان الناس كلهم يتفقون على المآذب العامة والملاهي أكثر مما يتفقونه على الأعمال اللازمة لحفظ كيان الدولة ورعاية مصالحها<sup>(٤١)</sup> »

وأصبح تحديد عدد أفراد الأسرة تحديداً اختيارياً هو الطراز العصري في ذلك الوقت ؛ وكانوا يصلون إلى هذا الغرض بمنع الحمل ، أو الإجهاض ، أو قتل الأطفال : ويقول أرسطاطاليس إن بعض النساء كن يمنعن الحمل بطلاء جزء الرحم الذى يسقط عليه منى الرجل بزيت شجر الأرز ، أو بمرهم الرصاص . أو الكندر الممزوج بزيت الزيتون (\*) (٣٢) . وكانت الأسر القديمة سائرة في طريق الانقراض فلم تكن توجد ، على حد قول إسقراط ، إلا في قبورها ؛ وأخذت الطبقات الدنيا يتضاعف عدد أفرادها ، أما طبقة المواطنين في أتكا فقد نقص عددها من ٤٣ر٠٠٠ في عام ٤٣١ إلى ٢٢ر٠٠٠ في عام ٤٠٠ وإلى ٢١ر٠٠٠ في عام ٣١٣ (٣٣) . ويقابل هذا نقص في عدد المواطنين الذين كانوا يجندون للخدمة العسكرية ؛ ويرجع بعض هذا النقص إلى مذابح الحرب ، وبعضه إلى قلة من لهم في الدولة أملاك يتحتم عليهم الدفاع عنها ، وبعضه إلى رغبة الناس عن الخدمة العسكرية . ذلك أن حياة الدعة والانصراف إلى العناية بالشئون المنزلية ، والانهماك في الأعمال التجارية والصناعية ، وطالب العلم ، كل ذلك قد حل محل حياة الرياضة البدنية ، والتربية العسكرية ، والعناية بالشئون العامة ، وهي الحياة التي كان يألفها الناس في عهد بركليز (٣٤) . فأما الرياضة فقد أصبحت حرفة ، وصار المواطنون الذين كانوا في القرن السادس يملأون مدارس التدريب الرياضية يقنعون الآن بأن يجهد غيرهم أنفسهم بالنيابة عنهم ، وحسبهم هم أن يشاهدوا استعراض المحترفين . وكان بعض الشبان يتلقون بعض اللروس في فن الحرب ، ولكن الكبار كانوا يجلدون عشرات من الطرق للهرب من الخدمة العسكرية . وأضححت الحرب نفسها منهنة بسبب ما دخل عليها من التعقيدات الفنية ، تحتاج إلى رجال مدربين

---

(\*) إذا شاء القارئ أن يعرف استعمال زيت الزيتون لهذا الغرض ذاته في الوقت الحاضر فليطالع حل كتاب التاريخ الطبى لمنع الحمل **Medical History of Contraception** تأليف هيمز Himes ص ٨٠ .

لها تذبذباً خاصاً يستغرق وقتهم كله ؛ وكان لا بد من استبدال الجنود المرتزقة بالمحاربين المواطنين ، وكان هذا تذبذباً بأن زعامة بلاد اليونان لن تلبث أن تنتقل من رجال السياسة إلى رجال الحرب . وبينما كان أفلاطون يتحدث عن الملوك الفلاسفة ، كان الملوك العسكريون ينشئون تحت سمعه وبصره . وكان مرتزقة اليونان يبيعون أنفسهم إلى القواد سواء كانوا من اليونان أو البرابرة ، بلا تفرق بين هؤلاء وأولئك ؛ ولقد حاربوا في الجيوش التي غزت بلاد اليونان بقدر ما حاربوا دفاعاً عنها ، وشاهد ذلك أن الجيوش الفارسية التي واجهها الإسكندر كانت ملأى باليونان ؛ فلم يكن الجنود وقتئذ يسفكون دماءهم دفاعاً عن بلادهم ، بل كانوا يسفكونها في سبيل من يؤدي لهم أكبر الأجر .

وظل الفساد السياسي والاضطراب اللذان أعقبا موت بركليز ساترين في طريقهما خلال القرن الرابع ، إذا استثنينا من ذلك حكم يكلديز الطاهر النزيه (٤٠٣) ، وإدارة ليقورغ المالية (٣٣٨ - ٣٢١) . فالرشوة مثلا كان يعاقب عليها ، حسب نص القانون ، بالإعدام ؛ لكن إسقراط يقول إن المرتشي كان يجزى على ارتشائه بالترقي في المنصب العسكرية والسياسية . ولم يجد الفرس أية صعوبة في إرشاء ساسة اليونان وحملهم على أن يشنوا الحرب على الدول اليونانية أو على مقدونية ، وحتى دمستين نفسه أصبح في آخر الأمر مرآة تنعكس عليها أخلاق أهل زمانه . لقد كان من أنبل الأفراد في جماعة من أحط الجماعات في أثينة - أعني جماعة الخطباء المأجورين الذين صاروا في ذلك القرن محامين وساسة محترفين . ومن هؤلاء الناس من كانوا مثل ليقورغ شرفاء معقولين ، ومنهم من كانوا مثل هيردين ذوى شهامة ومروءة ، ومنهم من لم يكونوا خيراً مما وجب عليهم أن يكونوه ؛ وإذا جاز لنا أن نصدق ما يقوله عنهم أرسطاطاليس فقد كان منهم من تخصص في إيصال نصوص الوصايا<sup>(٣٦)</sup> . وجمع الكثيرون منهم ثروات طائلة بانتهاز الفرص السياسية وبالتهريج والخطابة في الجماهير .

وانقسم الخطباء المأجورون أحزاباً ،نومزقوا الهواء بمحملاتهم ، ونظم كل حزب لنفسه لجاناً ، ووضع له كلمات سر ، وعين له وكلاء ، وجمع له مالا . وكان الذين يؤدون نفقات هذه الأعمال كلها يعترفون صراحة بأنهم «سيستردونها ضعفين» (٣٧) .

وكانت الروح الوطنية تضعف كلما زادت السياسية قوة واستنفدت . مرارة الانقسام كل الجهود العامة والوفاء للوطن ، فلم تترك للمدينة من هذه الجهود وذلك الإخلاص إلا القليل الذى لا يعنى ، وكان دستور كليستينز ، والنزعة الفردية التى أثارها التجارة والفلسفة ، قد زعزعا كيان الأسرة ، وحررا الفرد ؛ وكأنما أراد الفرد الحر وقتئذ أن يثار للأسرة . مما أصابها من انحلال فهوى بمعوله على الدولة يقوض أركانها .

وأراد الديمقراطيون المنتصرون فى عام ٤٠٠ ق . م أو حواله أن يضمّنوا حضور المواطنين الفقراء فى الإكليزيا ، وأن يمنعوا بذلك ذوى الأملاك أن تكون لهم السيطرة عليها ، فجعلوا حضور الجمعية هو الآخر عملاً من الأعمال التى يوجب الناس عليها . وكان كل مواطن فى بادئ الأمر يوجب على حضور الجلسة أبلة ( بلب من الريال الأمريكى ) ، ولما زادت نفقات المعيشة زيد هذا الأجر إلى أبلتين ، ثم إلى ثلاث أبلات ، وظل يزداد حتى كان فى زمن أرسطاطاليس درخمة ( أى ريالاً أمريكياً ) عن اليوم الواحد (٣٨) . ولقد كان هذا فى حد ذاته تدبيراً معقولاً لا غبار عليه ، لأن المواطن العادى كان يكسب فى أواخر القرن الرابع درخمة فى كل يوم ؛ ولم يكن ينتظر منه أن يترك عمله دون أن يعرض عن تركه . وما لبثت هذه الخطة أن جعلت للفقراء الأغلبية فى الجمعية ، ويئس الأغنياء من الانتصار فيها . فزاد إعراضهم عنها تدريجاً ، وامتنعوا عن حضور جلساتها . وعدل الدستور فى عام ٤٠٣ وقصر حق التشريع على هيئة مكونة من خمسة مشرعين nomothetei يختارون من بين المواطنين الذين انتخبوا بالقرعة ليكونوا :

قضاة ، ولكن هذا التعديل لم تكن له أقل فائدة في الحد من طغيان الطبقات الدنيا . ذلك أن هذه الهيئة الجديدة انحازت هي الأخرى إلى جانب العامة ، والانتفاص من سلطانه . ويبدو أن مستوى الذكاء في الجمعية قد نقص في القرن الرابع ، ولعل منشأ هذا النقص هو أداء الأجور على حضور جلسات الجمعية . نقول هذا ببعض التحفظ لأن الذين نعتمد عليهم في هذا القول هم الرجعيون المتحيزون أمثال أرسطوفان وأفلاطون<sup>(٣٩)</sup> . ويقول إسقراط إن أعداد أئينة هم الذين يجب عليهم أن يؤدوا الأجور لحضور جلسات الجمعية حتى يكثر اجتماعها ، وذلك لكثرة ما ترتكبه من الأغلاط<sup>(٤٠)</sup> في أعمالها .

وخسرت أئينة بسبب هذه الأغلاط إمبراطوريتها وحربتها جميعا . ذلك أن الحرص الشديد على المال والسلطان الذي قوض أركان الحلف الأولى قد دك وقتل قواعد الحلف الثاني أيضاً ، فقد شعرت أئينة بعد سقوط إسبارطة في لكثرا أن في وسعها الآن أن توسع أملاكها ، وكانت وهي تنظم إمبراطوريتها الجديدة قد قطعت على نفسها عهداً ألا تسمح للرايا الأثينيين بامتلاك أرضين خارج حدود أتككا<sup>(٤١)</sup> . ولكنها بعد أن فتحت ساموس ، والكرسنيز التراقية ، ومدائن پدنا ، وپوتيدبا ، وميتوني على سواحل مقدونية وتراقية استعمرتها على أيدي المواطنين الأثينيين . واحتجت على ذلك الدول المتحالفة معها وانسحب الكثير منها الحلف . واستخدمت أئينة وسائل القسر والعقاب التي استخدمتها من قبل في القرن الخامس ، ولكنها لم تجن من ورائها فائدة في هذه المرة كما لم تجن منها فائدة في المرة السابقة . وكانت النتيجة أن أعلنت طشيوز ، وكوس ، ودرس ، وپيزنطية في عام ٣٥٧ « حرب » عصيان « اجتماعية » : ولما أن رفض تموثيوس Timotheus وأفكرائيز ، وهما قائلان من أعظم القواد الأثينيين كفاية ، أن يهاجما الأسطول الثائر في الهلسنت أثناء عاصفة هوجاء ، أتهمهم الجمعية

بالجن ، وفرضت على تموثيوس غرامة باهظة لا قبل لأحد بأدائها قدرها مائة وزنة ( ٦٠٠ ر٠ ٠٠٠ ريبال أمريكي ) . فلم يجد أمامه سبيلا إلا الفرار من البلاد ، وبرئ إفكرتيز ولكنه لم يبق لأثينة بخدمة ما فيها بقى من حياته . وأحبط الثوار كل ما بذلته من محاولات لإخضاعهم ، فاضطرت في عام ٣٥٥ إلى أن توقع صلحا تعترف فيه باستقلال بلادهم ، وأضحت المدينة العظيمة بلا أحلاف ، ولا زعماء ، ولا مال ، ولا أصدقاء .

ولعل عوامل أخرى أدق وأخفى من العوامل السابقة كان لها أثر في إضعاف أثينة . ذلك أن حياة الفكر تعرض للخطر كل حضارة تزدان بهذه الحياة . ففي المراحل الأولى من تاريخ الأمة قل أن يكون للتفكير وجود ، بل الذي يسود وينتشر هو العمل ، ويكون الناس في هذه المرحلة صريحين ، محررين من عوامل الكبت جريئين في مشاكساتهم وصلاتهم الجنسية . وكلما أرتقوا في مدارج الحضارة وفرضت عليهم العادات ، والأنظمة ، والشرائع ، وقواعد الآداب والأخلاق ، قيودا تزداد على مر الأيام كبتاً للغرائز ، حل التفكير محل العمل ، والخيال محل الإقدام ، والاحتياط محل الصراحة ، والخفاء محل التعبير الصادق ، والعطف محل القسوة ، والشك محل اليقين ؛ وزالت الوحدة الأخلاقية التي يشترك فيها الإنسان البدائي مع الحيوان ؛ وأصبح السلوك مجزءا طابعه التردد ، والإدراك ، وتقدير العواقب ، وضعفت الرغبة في القتال ، واستحالت ميلا إلى الجدل الذي لا يقف عند حد . وما أقل الأمم التي استطاعت أن تصل إلى الرقي العقلي والإحساس القوي بالجلمال من غير أن تضحي في سبيل ذلك بالقدر الكثير من رجولة أبنائها ووحدها ، فلم تستطع صد الاقوام الهمج المعدين الطامعين في ثروتها : فحول كل رومة يحوم الغاليون ، وحول كل أثينة يحوم المقلدون .

## الفصل الرابع

### نهضة سراقوصة

كانت سراقوصة طوال القرن الرابع من أكبر المدن اليونانية ثروة وأعظمها قوة ، رغم ما كان ينتابها من الاضطرابات السياسية الكثيرة . وكان ملكها ديونيشيوس الأول مجرداً من الضمير ، خائناً غداراً ، مختالاً مغروراً ، ولكنه كان أقدر رجال زمانه في الشؤون الإدارية : حول هذا الرجل جزيرة أرتيجيا Ortygia إلى قلعة حصينة اتخذها مسكناً له ، وسور الطريق الذي يوصلها بأرض القارة ، فأصبح مركزه فيها أمان من عقاب الجو ، ثم ضاعف أجور جنده ، وقادهم بنفسه إلى انتصارات هينة ، فحجب نفسه إليهم وكسب ولائهم ؛ فاستطاع البقاء على العرش ثمانية وثلاثين عاماً . ولما أن ثبت قواعد حكمه استبدل بسياسة القسوة التي نهجها في بداية أمره سياسة رحيمة استرضى بها الأهلين ، وبسط على البلاد حكماً استبدادياً طابعة العدالة والمساواة (\*) ، وأقطع ضباطه وأصدقائه أجزاء من أحسن الأراضي وأعظمها خصباً ، وخص جنوده بجميع المساكن في أرتيجيا والطريق الموصل إليها إلا القليل النادر منها ، ووزع كل ما بقي من أرض سراقوصة وما حولها على سكان المدينة الأحرار منهم والأرباء من غير تمييز بينهم . وبهديه وإرشاده ازدهرت سراقوصة ، وإن كان قد فرض عليها من الضرائب ما لا يكاد

---

(\*) ولما حكم على فنتياس Phintias (المسمى خطأ بيثياس Pythias) الفيثاغوري بالإعدام لاشتراكه في إحدى المؤامرات ، استأذن فنتياس في أن يذهب إلى منزله يقضى فيه يوماً ينظم فيه شعونه . وعرض صديقه دامون Damon (وهو غير دامون معلم الموسيقى ليركليز وسقراط) أن يكون رهينة له حتى يمود ، وعرض أن يعلم إذا لم يعد فينتياس . ولكن فنتياس عاد ودهش ديونيشيوس كما دهش تايلون فيما بعد من أن يبلغ الإخلاص بين الأصدقاء هذا المبلغ ، فمفا عن فنتياس ، ورجاه أن يكون هو زميلاً لها في هذه الصداقة المعينة .

يقول عما فرضته الجمعية على الأثينيين . ولما أن أسرفت نساء المدينة في زينتهن أعلن أن دمترا قد جاءت في الحلم وأمرته أن يجمع حلى النساء كلها ويودعها في معبدها . وصدع الملك بأمر الإلهة ، وصدعت به كذلك معظم النساء ؛ ثم ما لبث أن « اقترض » الحلى من دمترا ليعمل بها حروبه (٤٣) .

ذلك أن خططه كلها كانت تهدف إلى إخراج القرطاجيين من صقلية . وقد آلمه وحز في نفسه أن يستطيع هنيئال استخدام آلات التدمير القوية في حصار سيلينس ، فجمع في خدمته خيرة الصناع والمهندسين من بلاد اليونان القريبة ؛ وطلب إليهم أن يعملوا على تحسين عدد الحرب . وكان من بين ما اخترعه هؤلاء الرجال من آلات الهجوم والدفاع الجديدة المنجنيق الذي يقذف الحجارة الثقيلة وغيرها من القذائف ، وانتقل هذا الاختراع وغيره من المخترعات العسكرية من صقلية إلى بلاد اليونان واستخدمه فليب المقدوني . وأرسل يدعو لخدمته جنودا مرتزقة ، وأخذت دور الصنعة في سراقوسة تخرج مقادير لا عهد للناس بها من الأسلحة والدروع تنفق مع عادات كل طائفة من طوائف الجند المختلفة ومع حذقها في القتال . وكان المشاة قبل هذا الوقت هم الذين يقاتلون في المعارك البرية لكن ديونيشيوس نظم فيالق كبيرة من الفرسان ، وأفاد من هذا أيضاً فليب والإسكندر . وأخذ في الوقت نفسه يصب المال صبا لبناء مائتي سفينة معظمها من ذات الأربعة الصفوف أو الخمسة ، فأنشأ بذلك أسطولا ضخما لم تر له بلاد اليونان قبل ذلك الوقت مثيلا في سرعته أو قوته .

ولم يحل عام ٣٩٧ حتى كان كل شيء على أهبة الاستعداد ، وأرسل ديونيشيوس بعثة إلى قرطاجة يطلب إليها أن تخرج جميع المدن اليونانية في صقلية من ميطرة القرطاجيين ، وتوقع ألا يجاب إلى طلبه فدعا هذه المدن إلى خلع نير الحكم الأجنبي ، فاستجابت إلى دعوته ، وكانت لاتزال حاكمة على القرطاجيين ولم تنس ما ارتكبه فيها هنيئال من المذابح ، فأعدت جميع من وقع في

أيديهم منهم بعد أن أذاقتهم من ألوان العذاب ما لم يعذبه اليونان أحداً غيرهم من قبل ، ولم يلخر ديونيشيوس جهداً في الخيلولة بينهم وبين هذا التعذيب لأنه كان يريد أن يبيع أسرى القرطاجيين في أسواق الرقيق . ونقلت قرطاجة جيشاً كبيراً بقيادة هملكون Himilcon بطريق البحر ، ودارت الحرب بين الأمتين في فترات متقطعة خلال أعوام ٣٩٧ ، ٣٩٢ ، ٣٨٣ ، ٣٦٨ . وانتهت هذه الحرب بأن استردت قرطبة كل ما استولى عليه ديونيشيوس من أملاكها ، وعادت الأمور بعد الدم المهرق كله إلى ما كانت عليه من قبل .

وكان ديونيشيوس في هذه الأثناء قد وجه قوته الحربية لإخضاع المدن اليونانية في الجزيرة ، وربما كان مدفوعاً إلى هذا بحب السلطان ، أو بما كان يحس به من أنه لا سبيل إلى القضاء على سلطان قرطاجة في صقلية إلا إذا اتحدت كلها تحت حكومة واحدة . فلما تم له إخضاعها ، عبر الجزيرة إلى إيطاليا ، وأخضع رجيوم Rhegium وفرض سلطانه على جميع إيطاليا الجنوبية . ثم هاجم إتروريا واستولى على ألف وزنة من هيكلها القائم في أجيلا Agylla ، ووضع الخطط لنهب ضريح أبولو في دلفي ، ولكن الأيام وقفت في سبيله فلم تمكنه من تنفيذ خطته . فقد وأدت بلاد اليونان في نفس ذلك العام ( ٣٨٧ ) حريتها في الغرب ، ثم باعها « بصلح الملك » إلى الفرس في لشرق . وكان برنس Brennus والغالليون قد وقفوا ظافرين أمام أبواب رومة يدقونها دقاً . وكان البرابرة المحبطون بالعالم اليوناني يزدادون قوة في كل مكان ، وكان ما حل بإيطاليا الجنوبية من التدمير على يد ديونيشيوس قد مهد السبيل للأهلين القاطنين حول المستعمرات أولاً ، ثم للرومان أنصاف البرابرة بعدئذ ، لغزو هذه المستعمرات والاستيلاء عليها . وقام الخطيب ليسيلاس في الدورة التالية من دورات الألعاب الأولمبية يدعو بلاد اليونان إلى الخروج على الطاغية الجديد ، فهاجت الجماهير الثائرة خيام رسل ديونيشيوس وأصمت آذانها عن الاستماع إلى أشعاره .

وهذه الطاعة الذى عرض على أهل ريجيوم بعد أن تم له الاستيلاء عليها  
حريتهم إذا أتوه بكل ما يدخرونه من مال فدية لهم ، فلما جاؤوه به باعهم  
بيع الرقيق ، هذا الطاغية نفسه كان رجلاً واسع الثقافة من أرباب السيف  
والقلم ، ولم يك فخره بقلمه أقل من فخره بسيفه . ولما أن طلب إلى الشاعر  
فلكينس رأيه فى شعره وأجاب بأنه غث لا قيحة له حكم عليه بالأشغال  
الشاقة فى المحاجر<sup>(٤٤)</sup> . على أن ديونيشيوس ، كان يتاصر الآداب والفنون  
على الرغم من هذه الأعمال المثبطة ، وقد استضاف أفلاطون أثناء أسفاره فى  
صقلية وسره أن يستمتع لحظة بهذا الفيلسوف ( ٣٨٧ ) . وهناك قصة ذاتة  
نقلها ديوجانس ليرتيوس تقول إن الفيلسوف أخذ يطعن فى حكم الطغاة  
فرد عليه ديونيشيوس بقوله : « إن أقوالك أعجز محترف » ، فأجابه  
أفلاطون قائلاً : « إن هذه اللغة هى لغة الطغاة » . ويقال إن ديونيشيوس باع  
أفلاطون فى سوق الرقيق ولكن أنسريز القيرونى لم يلبث أن افتداه<sup>(٤٥)</sup> .

ولم يقض على حياة الفيلسوف واحد من القنلة السفاحين الذين كان  
يخشى بأسهم بل قضى عليها شعره نفسه . وتفصيل ذلك أن مأساته افتداء  
هكنز نالت الجائزة الأولى فى عيد لينيا الأثينى عام ٣٦٧ . وسر ديونيشيوس  
من هذا الفوز سروراً جعله يحتفل بأصدقائه ويفرط فى الشراب ، فيصاب  
بالحمى ويموت .

وقبلت المدينة المغتازة التى كانت قد ارتضته بديلا من الخضوع لقرطاجة ،  
قبلت أن يخلفه ابنه على العرش راجية الخير على يديه . وكان ديونيشيوس الثانى  
وقتئذ شاباً الخامسة والعشرين من عمره ، ضعيف الجسم والعقل ، فظن  
السراقوصيون الماكرون أنه لهذا السبب سيحكمهم حكماً رحماً يترك لهم فيه الجبل  
على الغارب . وكان له من عمه ديون Dion والمؤرخ فلستيوس مستشاران  
قديران . فأما ديون فكان رجلاً واسع الثراء ولكنه جمع إلى ثرائه حبه للآداب  
والفلسفة ، وكان من أوفى تلاميذ أفلاطون وألصقهم به . وأصبح عضواً

في المجمع العلمي وعاش في داخل بيته وخارجه عيشة البساطة الفلسفية . وخطر بباله أن الطاغية الحديد الشاب اللدن العود سوف يتيح له الفرصة لأن يقيم على الأقل حكماً دستورياً يستطيع به توحيد صقلية بأجمعها وتمكينها بسبب هذه الوحدة من القضاء على سلطان القرطاجيين فيها ، هذا إذا لم يتمكن من أن يجعل منها « المدينة الفاضلة » التي وصفها له أفلاطون .

ودعا ديونيشيوس الثاني بناء على اقتراح ديون ، أفلاطون إلى بلاطه ، فلما قبل أفلاطون الدعوة تتلمذ عليه ديونيشيوس وصار من أتباعه . وبما لا شك فيه أن الشاب الطاغية أراد أن يظهر للفيلسوف خير طباعه ، فأخفى عليه إدمانه الخمر والعهر<sup>(٤٧)</sup> ، الذي جعل أباه يتنبأ أن الأسرة ستقرض بموت ولده . وانخدع أفلاطون برغبة الشاب الظاهرة في الفلسفة فقادها إليها من أصعب السبل - من سبيل العلوم الرياضية والفضيلة . وعلم الحاكم ، كما علم كنفوشيوس دوق لو ، أن المبدأ الأول من مبادئ الحكم هو القدوة الصالحة ، وأنه إذا أراد أن يصلح شعبه ، فعليه أن يجعل نفسه أنموذجاً لهم في الذكاء والنية الحسنة ، وشرعت الحاشية كلها تدرس الهندسة ، وتقف مذهولة سياسياً أمام خطوط مرسومة في الرمل . ورأى فلستيبوس أن مقام أفلاطون أصبح أعلى من مقامه ، فهمس في أذن الطاغية أن ذلك كله لم يكن إلا مؤامرة أراد بها الأثينيون ، الذين عجزوا عن فتح سراقوسة بقوة الجيش والأسطول ، أن يستولوا عليها بعمل رجل واحد ، وأن أفلاطون بعد أن استولى على القلعة المنيعة بالرسوم والحوار ، سينزل ديونيشيوس عن عرشه ، ويجلس ديون مكانه . ووجد ديونيشيوس في هذا الهمس فرصة قيمة للنجاة من متاعب الهندسة ، فنفى ديون ، وصادر أملاكه ، ووهب زوجته لرجل من رجال البلاط كانت ترهبه ، وغادر أفلاطون سراقوسة ، رغم تأكيد الطاغية له بأنه يحبه أشد الحب ، وانضم إلى ديون في أثينة . وبعد ست سنين من ذلك الوقت عاد إلى سراقوسة استجابة لطلب الملك نفسه ، وألح عليه في أن يستدعي ديون ولما

رفض ديونيشيوس رجاءه اعتزله أفلاطون وآوى إلى المجمع العلمي<sup>(٤٨)</sup> .

وفي عام ٣٥٧ جند ديون من بلاد اليونان القارئة ، وكان وقتئذ فقيراً في المال غنياً في الأصدقاء ، قوة مؤلفة من ثمانمائة رجل أبحر بهم إلى سراقوصة ، ودخل فيها سراً فألقى الأهلين شديدي الرغبة في تأييده . وكانت معركة واحدة نال فيها النصر ببسالته ، مع أنه كان وقتئذ في سن الخمسين ، كافية لهزيمة جيش ديونيشيوس ، ودب الرعب من هولها في قلب الملك الشاب فأثر الفرار إلى إيطاليا . وفي هذا الوقت عزلت الجمعية السراقوصية ديون من القيادة ، وكان هو الذي دعاه إلى الاجتماع ، خشية أن ينصب نفسه حاكماً بأمره . وكانت في عملها هذا تجرى على ما طبع عليه اليونان من الاندفاع وعدم التبصر في العواقب . وانسحب ديون في سلام إلى اليونانيين ؛ ولكن جيوش ديونيشيوس شجعها تقلب الأحداث فهاجمت الجيش الوطني على حين غفلة ، وبددت شمله . وأرسل الزعماء الذين كانوا قد عزلوا ديون من القيادة يطلبون إليه أن يعود مسرعاً ويتولى قيادة جيش الشعب ، فاستجاب إلى دعوتهم ؛ وانتصر على أعدائه مرة أخرى ، وعفا عن الذين قاوموه ، وأعلن قيام دكتاتورية مؤقتة قال إنها ضرورية لعودة النظام إلى البلاد ، وأبى أن يكون له حرس خاص مخالفاً بذلك نصيحة أصدقائه ، وقال إنه « يفضل أن يموت على أن يعيش على حذر دائم من أصدقائه وأعدائه على السواء »<sup>(٤٩)</sup> . واحتفظ بدلاً من هذا الحرس بحياته المتواضعة المعتدلة رغم ما كان يحيط به من الثراء وقوة السلطان .

ويقول فلوطرخس « إنه ، وإن كان قد نال ما يشتهي من النجاح ، لم يكن يرغب في أن ينال فائدة عاجلة . أتاحتها له حظته الطيب . . . فاكنتي يقدير معتدل من الثراء راعى فيه جانب الاقتصاد ، وأدهش بذلك الناس جميعاً . وبينما كانت صقلية وقرطاجة وبلاد اليونان بأجمعها ترى أنه قد بلغ أعلى مراتب النعيم والثراء . ، وأن ليس بين الأحياء جميعاً من هو أعظم منه ، أو بين القواد

من هو أوسع منه شهرة في البسالة والظفر ، كان يبدو في حرسه ، وحاشيته ، وعلى مائدته ، أنه يشترك مع أفلاطون في المجمع العلمي . ولا يعيش بين ضباطه الأجورين وجنوده المرتزة الذين يجدون في ملء بطونهم بلنيد المأكّل والمشرب والاستمتاع بلذائذ الحياة عزاء لهم عن كلحهم المتواصل وما يتعرضون له من الأخطار (٥٠)

وإذا أخذنا بقول أفلاطون فإن ديون كان ينبغي إقامة ملكية دستورية ، وإلى إصلاح حياة السراقوصيين وأخلاقهم على مثال الحياة والأخلاق الإسبارطية ، وأن يعيد بناء المدن اليونانية المستعمدة أو المخربة في صقلية ، وينشئ منها دولة موحدة ، حتى إذا تم له ذلك أخرج القرطاجيين من الجزيرة . ولكن السراقوصيين كانوا يحرصون أشد الحرص على النظام الديمقراطي . ولم يكونوا يتوقون إلى الفضيلة أكثر مما يتوق إليها ديونيشيوس الأول أو الثاني . فاغتيال ديون صديق له ، وانطلقت على أثر اغتياله الفوضى من عقالها ، وأسرع ديونيشيوس بالعودة إلى سراقوصة ، واستولى مرة أخرى على اوتيبيجا وعلى أزمة الحكم ، وسار فيه بالقسوة والفظاعة التي ينتظرها الإنسان من طاغية خلع عن عرشه ثم استرده .

وبعد ، فإن الأقدار تصيب أحياناً من لا يستحقها من الأفراد ، ولكنها قلما تفعل ذلك بالأمم . لقد استغاث السراقوصيون بأهم كورنثة . وجاءت الاستغاثة في وقت كان فيه كورنثي نبيل نبلا لا يكاد يصدقه العقل ينتظر أن تتاح له فرصة يظهر فيها بطولته . لقد كان تيمليون رجلاً من الأشراف ، بلغ من حبه للحرية أنه لم يتردد في قتل أخيه تموفانيز حين أراد هذا الرجل أن يقيم نفسه حاكماً مستبداً في كورنثة . واستنزلت أمه اللعنة عليه عقاباً له على عمله هذا ، وأنبه عليه ضميره ، فاعتزل هذا القاتل الناس وآوى إلى الغابات ، ولكنه سمع وهو في مأواه بحاجة سراقوصة إلى النجدة ؛ فخرج من ملجئه ، ونظم قوة من المتطوعين ، وأبحر بها إلى صقلية ؛ وقاد شرذمته

القليلة بمهارة لم يرجيش الملك معها بدأ من الاستسلام ، بعد أن ذاق البلاء من جراء براعته في القيادة ، ومن غير أن يقتل من رجاله رجل واحد ، ومنح تيمليون الطاغية الدليل من المال ما يمكنه من العودة إلى كورنثة حيث قضى ما بقي من حياته يعلم في المدرسة ويسأل الناس القوت في بعض الأحيان (٥١) ۞

وأعاد تيمليون الديمقراطية ، وهدم الحصون التي جعلت أرتيجيا معقلاً حصيناً للاستبداد ، ورد عنها غارة شنها القرطاجيون ، وأعاد الحرية والديمقراطية إلى المدن اليونانية . وبفضله ساد السلام وعم الرخاء صقلية جيلاً من الزمان ، هرع إليها في خلاله مستوطنون جدد من جميع أنحاء العالم اليوناني . وأبي مع ذلك أن يتولى منصباً عاماً ؛ بل اعتزل الحياة السياسية وفضل عليها الحياة الخاصة ؛ ولكن الديمقراطيات القائمة في الجزيرة كانت تعرض عليه كل شئونها الكبرى تستنصحه وتعمل برأيه إيماناً منها بحكمته واستقامته . ولما اتهمه اثنان من « المرشدين » بسوء استخدام سلطته أصر على الرغم من احتجاج الشعب وإعلانه شكره له واعترافه بجميله ، أن يحاكم من غير محاباة حسب قانون البلاد ، وحمد الآلهة على أن عادت إلى صقلية حرية الكلام والمساواة أمام القانون . ولما مات في عام ٣٣٧ حزن عليه بلاد اليونان كلها وعدته من أعظم عظماء أبنائها .

## الفصل الخامس

### تقدم مقدونية

بينما كان تيمليون يعيد إلى الديمقراطية أنفاسها الأخيرة في صقلية القديمة ، كان فليب يقضى عايبها في أرض اليونان القارية . لقد كانت مقدونية حين اعتلى فليب العرش ٣٥٩ لا تزال في الأغلب الأعم بلاداً همجية يسكنها أقوام أشداء جبليون وذلك رغم كرم أركلوس وثقافته العالية ، والحق أنها وإن استخدمت اليونانية لغة رسمية لها لم تفد الحياة اليونانية طوال تاريخها بمؤلف أو فنان أو فيلسوف واحد .

وكان فليب قد أقام ثلاث سنين مع أقارب إلامينداس طيبة فاستقى منهم قدراً متوسطاً من الثقافة وقدراً عظيماً من الأفكار الحربية . وكان يتصف بمجوع الفضائل عدا فضائل الحضارة ، كان قوى الجسم والإرادة ، مولعاً بالرياضة البدنية ، وسياً ، وبجملته القول أنه كان حيواناً عظيماً ، يحاول بين الفينة والفينة أن يكون أثينا مهلباً . وكان كابنه الشهير ذا مزاج حاد عنيف وكرم فائق ، مولعاً بالحرب إلى حد كبير وبالشراب إلى حد أكبر . وكان يختلف عن الإسكندر في مرحه وميله إلى الضحك ، ولما أحده الأرقاء منصباً كبيراً لأنه أدخل على قلبه السرور . وكان يحب الغلمان كثيراً ، ولكنه يحب النساء أكثر منهم ، وتزوج أكبر عدد استطاعه منهن ، وحاول وقتاً ما أن يقتصر على زوجة واحدة هي أولمبياس الأميرة المولوسية Molossian البلجيلة التي كانت تعيش على الفطرة والتي ولدت له الإسكندر ، ولكنه لم يلبث أن مال إلى غيرها ، فأخذت أولمبياس تدبر الانتقام منه إلى نفسها وكان أحب الناس إليه أشداء الرجال الذين يجازفون بأرواحهم طوال النهار ، ويقامرون معه وينادمونه على الشراب إلى نصف الليل . وكان ( إلى ما قبل

الإسكندر) أشجع الشجعان بلا منازع ، وخلف جزءاً من نفسه في كل ميدان من ميادين القتال . وقد أعجب به دمستين وقال فيه : « ياله من رجل ! لقد خسر في سبيل القوة والسلطان عيناً ففنت ، وكفناً كسرت ، وذراعاً وساقاً أصبينا بالشلل (٥٣) » . وكان ذا قريحة وقادة ، قلدرأً على أن ينتظر فرصته مترصباً ، وعلى أن يسير بعزم ثابت إلى هدفه مجتازاً في سبيله كل ما يعترضه من صعاب . وكان في سياسته لطيفاً غشاراً ؛ لا يبالي بأن يحنث في وعده ، ويجدد هذا الوعد لساعته ؛ لا يعترف في الحكم بالمبادئ الأخلاقية ، ويرى أن الكذب والرشوة بديلين رحيمين من القتل وسفك الدماء . ولكنه كان رحيماً في انتصاره وكان من عادته أن يعرض على اليونان المنهزمين شروطاً أحسن مما يعرضها بعضهم على بعض . وقد أحبه كل من التقى به ، عدا دمستين العنيد ، ووصفوه بأنه أقوى رجال زمانه وأكثرهم طرافة .

وكانت حكومته ملكية أرستقراطية يدوم سلطان الملك فيها ما دام متفوقاً في قواه الجسمية أو العقلية ، وما دام أشرف البلاد راغبين في معونته . وكان ثمانمائة من أمراء الإقطاع يكونون « صحابة الملك » وكان هؤلاء الصحابة من كبار الملاك الذين يحقرون حياة الحواضر والزحام والكتب فإذا ما أعلن الملك الحرب برضاهم خرجوا من ضياعهم وهم أقوياء الأجسام صناديد ليوث غاب . وكانوا في الجيش يوفون فرقة الفرسان ويمتطون صهوة الجياد المقدونية والتراقية القوية الشكيمة ، وقد درجهم فليب على أن يحاربوا جماعات مترابطة يستطيعون إذا صدر إليهم أمر قائدهم أن يبدلوا حركاتهم العسكرية من فورهم كأنهم رجل واحد . وكان إلى جانب هؤلاء الفرسان مشاة من الصيادين والفلاحين الشعث منظمون في « فيالتي » ، يصوب ستة عشر صفاً منهم رماحهم فوق رؤوس الصفوف التي أمامهم — ويضعونها فوق أكتافهم — وبذلك يكون كل نذلق أشبه بجدار من الحديد . وكان طول الرمح إحدى وعشرين قدماً ،

وكان متزناً من مؤخرته فإذا شرعه صاحبه برز إلى الأمام خمس عشرة قدماً .  
ولما كان كل صف من الجند يتقدم ثلاث أقدام عن الذى يليه ، فإن رماح  
الخمسة الصفوف الأولى كانت تبرز أمام الفيلق كله ، وكانت رماح الثلاثة  
الصفوف الأولى تبرز أمام الفيلق أطول من حراب أقرب المشاة اليونان التي  
لا تزيد على ست أقدام . وكان الجندى المقدونى بعد أن يقلد عدوه برمحه  
يحارب بسيف قصير ويقي رأسه ببيضة من نحاس ، وجسمه بدرع ،  
وساقيه بجرموقين ، وصدرة بترس خفيف . ويأتى من وراء هذا الفيلق  
فرقة من الرماة على الطراز القديم يصوبون سهامهم فوق رؤوس حملة  
الرمح ، ومن وراء هؤلاء فرق الحضار بمناجيقها وكباشها المدسرة . ودرب  
فليب فى صبر وعزيمة هذا الجيش المكون من عشرة آلاف جندى حتى  
جعله أعظم قوة محاربة شهدتها أوربا حتى ذلك الوقت ، وأعدده للإسكندر  
كما أعد فردرك ولهم جيشه لابنه فردرك الأكبر .

واعترزم أن يستخدم هذه القوة لتوحيد بلاد اليونان وإخضاعها لحكمه  
حتى إذا تم له ذلك استعان ببلاد هيلاس جميعها وعبر الهلسنت وطرده الفرس  
من آسية اليونانية . ولكنه كان فى كل خطوة يخطوها نحو هذه الغاية  
يجد نفسه يعمل ضد حب اليونان للحرية ، وكان وهو يحاول أن يتغلب  
على هذه النزعة ينسى الغاية التي يعمل لها بهذه الوسيلة . ووقف فى  
حركته الأولى وجها لوجه أمام أثينة لأنه أراد أن يستولى على المدن التي  
ضمتها إلى أملاكها على ساحل مقدونية وتراقية . ولم تكن هذه المدن  
تسد طريقه إلى آسية وحسب ، بل كانت فوق هذا تحتوى مناجم غنية  
من الذهب ، وكانت ذات تجارة رائجة فى مقدوره أن يفرض عليها  
الضرائب . وبينما كانت أثينة منهمكة فى « الحرب الاجتماعية » التي انتهت  
بها إمبراطوريتها الثانية ، استولى فليب على أمفبوليس ( ٣٥٧ ) ، وپدنا ،  
وبوتيديا ( ٣٥٦ ) ، ولما احتجت أثينة على هذا العمل العدوانى أجابها بالثناء  
على آدابها وفنونها ، وفى عام ٣٥٥ استولت على ميتونى ، وفقد عينه فى

حصارها ، وفي عام ٣٤٧ استولى على أولنثس بعد حرب طويلة استعين فيها بضروب كثيرة من البسالة والخلداع . وتمت هذه الأعمال السيطرة على الشاطئ الأوربي لبحر إيجه الشمالى ، ودخل خزائنه فى كل عام ألف وزنة من مناجم تراقية<sup>(٥٣)</sup> ، واستطاع أن يوجه تفكيره نحو اكتساب معونة بلاد اليونان .

وكان فليب قد حصل على المال الذى أنفقه فى حروبه ببيع آلاف من الأسرى فى أسواق الرقيق ، وكان من بينهم كثيرون من الأثينيين ، فنفرت منه قلوب الهلنيين ، وكان من حسن حظه أن المدن اليونانية كانت فى خلال هذه السنين تنهك قواها فى « حرب مقدسة » ثانية (٣٥٦-٣٤٦) سببها انتهاب الفوسيين كنوز دلفى . وأيد الاسبارطيون والأثينيون الفوسيين ، وحاربت العصبة الأمفكتيونية : بووتية ؛ ولكريس ، ودوريس ، وتساليا ، ضدهم . ولما دارت الدائرة على هذه العصبة استغاث مجلسها بفليب ، ووجد الفرصة ملائمة له فجاء مسرعاً مخترقاً الطرق الجبلية المفتوحة أمامه ؛ وأخذ الفوسيين على غرة (٣٤٦) ، وضم إلى الحلف الأمفكتيونى الدلفى ، ونودى به حامياً للضريح المقدس ، وقبل الدعوة التى وجهت إليه لرياسة اليونان جميعاً فى الألعاب البيثية . وهنا امتد بصره إلى دول البلوونيز المنقسمة على نفسها ، وأحس أن فى استطاعته أن يحملها جميعاً ، عدا اسبارطة الضعيفة ، على أن ترتضيه زعماً لحلف يونانى فى مقدوره أن يحرر جميع اليونان فى الشرق والغرب . ولكن أثينة استمعت إلى أقوال دمستين فلم ترفى فليب محرراً لها ، بل رآته ساعياً لا استعبادها ، وقررت أن تحارب لتحتفظ للمدن اليونانية بالسيادة التى كانت تحرص عليها ، وبالديمقراطية الحرة التى جعلتها نور العالم الوضاء .

## الفصل السادس

دمستين (دمستينز)

إن تمثال الخطينب العظيم القائم في متحف الفاتيكان ليعد من الروائع الفنية الواقعية التي أخرجها العصر الذي انتشرت فيه الحضارة اليونانية خارج بلاد اليونان الأصلية ؛ فوجهه يبدو عايه الهم والقلق ، كأن كل نصر أحرزه فليب قد أحدث غصناً جديداً في جبهته ؛ والجسم نحيل منهوك ، ومظهره مظهر الرجل الذي يوشك أن يدعو الناس للأخذ بيده للدفاع عن قضية يرى أنه قد خسرها . وتكشف العينان عن حياة قلقة ، وتنبئان بموت مدمر .

وكان أبوه صانع سيوف وأسيرة ، ترك له تجارة تبلغ قيمتها أربع عشرة وزنة ( ١٠٠٠ ريال أمريكي ) . واختار الوالد ثلاثة من الرجال ليديروا هذه الأملاك لصلاح الغلام ، ولكنهم أنفقوها على أنفسهم بسخاء ، اضطر معه دمستين حين بلغ سن العشرين ( ٣٦٣ ) أن يقاضى الأوصياء عليه لكي يستعيد ما بقي من ميراثه . وأنفق معظم ما آل إليه في تجهيز سفينة ذات ثلاثة صفوف من المجاديف وهبها للأسطول الأثيني ، ثم أخذ يعمل لكسب عيشه بكتابة الخطينب للمتقاضين ؛ وكان أقدر على الكتابة منه على الكلام ، لأنه كان ضعيف الجسم عوى اللسان . ويقول فلوطرخس إنه كان في بعض الأحيان يعد دفاعاً لكلا الطرفين المتنازعين . وكان يعمل في هذه الأثناء للتغلب على ما فيه من نقص طبيعي ، فكان يخاطب البحر وفه مملوء بالخصباء ، أو يخطب وهو يصعد فوق الجبل . وكان يجداً في عمله لا يشغله عنه إلا السراري والغلمان . وقال أمين سره يشكو أمره : « ماذا عسى أن يفعل الإنسان بدمستين ؟ إن الشيء الذي قضى عاماً

كاملاً يفكر فيه لتربكة امرأة واحدة في ليلة واحدة<sup>(٥٤)</sup> . وأصبح الرجل بعد جهود مفضية دامت عدة سنين أغنى المحامين في أثينة ، يعرف دقائق هذا الفن ويقنع المستمعين إلى خطبه ، ولا يتقيد كثيراً بقواعد الأخلاق . وشاهد ذلك أنه دافع عن المصرفي فورميو طالباً تبرئته من تهمة وجهها هو بعينها إلى الأوصياء عليه ، وكان يتناول أجوراً عالية من الأفراد نظير تقديم بعض القوانين للجمعية والدفاع عنها ، ولم يدفع عن نفسه التهمة التي وجهها إليه زميله هيريديز وهي أنه كان يتلقى المال من ملك الفرس ليشعل نار الحرب على فليب<sup>(٥٥)</sup> . وبلغت ثروته في ذروة مجده عشرة أضعاف ما خلفه له أبوه .

لكنه رغم هذا بلغ من النزاهة درجة رضى معها بالتعذيب والموت في سبيل الآراء التي استوجرت للدفاع عنها . ذلك أنه أخذ يندد باعتماد أثينة على الجنود المرتزقة ، وأصر على أن المواطنين الذين يتقاضون أجوراً من « الرصيد » المخصص لإعانة من يحضرون ألعاب الحفلات الدينية ويشاهدون المسرحيات ، يجب أن يكسبوا بالخدمة في الجيش ، وبلغ من شجاعته أن طالب بالألأ يؤدي هذا المال أجوراً لهؤلاء المواطنين ، بل يجب أن ينفق في إعداد قوة حربية للدفاع عن الدولة أحسن من القوة التي لديها<sup>(\*)</sup> . وقال للأثينيين إنهم قوم كسالى منحلون فقدوا ما كان يتصف به آباؤهم من فضائل حربية ، وأبى أن يصدق أن دولة المدينة قد وهنت قواها بالانقسامات الحزبية والحروب ، وأن الوقت قد آن لتوحيد بلاد اليونان . وأندر الأثينيين بأن هذه الوحدة ليست إلا أقوالاً تخفي وراءها خضوع

---

(\*) لقد توسعت الدولة في رصيد « المناظر » هذا (theoric fund) حتى صار يستخدم في كثير من الاحتفالات بدرجة كاد معها أن يجعل جزءاً كبيراً من المواطنين في عداد من يتلقون إعانات من الدولة . وفي ذلك يقول جلوتز Glotz : « إن الجمهورية الأثينية قد أصبحت جمعية تعاونية خيرية تأخذ المال من إحدى الطبقات لتنفقه على طبقة أخرى<sup>(٥٦)</sup> » . وكانت الجمعية قد جعلت الإعدام جزءاً كل من يقترح تحويل هذا المال لأغراض غير الغرض الذي رصد له .

بلاد اليونان جميعها لرجل واحد . ولقد تبين أطاع فليب من أعراضها الأولى وتوسل إلى الأثينيين أن يجاربوا للاحتفاظ بأحلافهم ومستعمراتهم في الشمال .

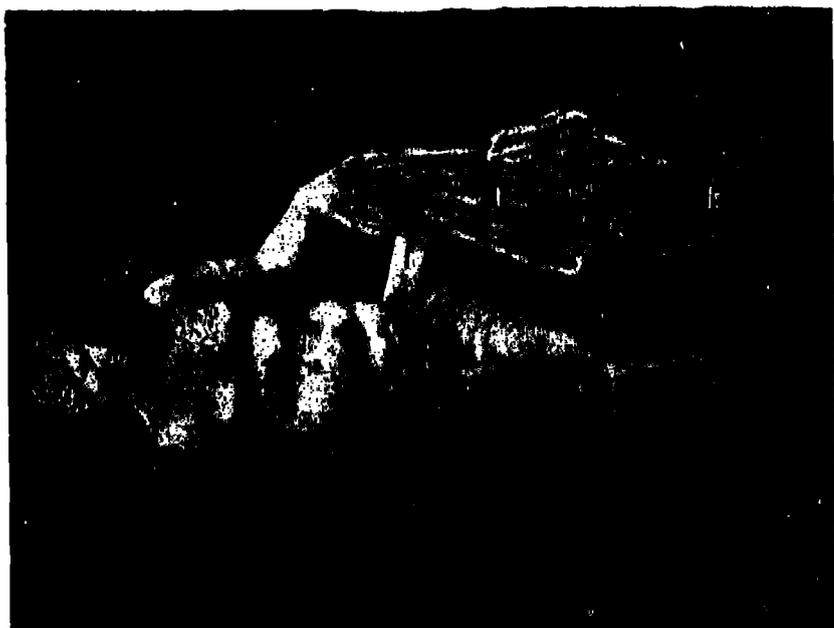
وكان ، اسكينز وفوشيون وحزب السلم يعارضون دمستين وهيريديزو حزب الحرب . وليس بعيد أن كلتا الطائفتين كانت مرتشبة الثانية من قبل الفرس والأولى من قبل فليب<sup>(٥٧)</sup> ، وإن الاثنتين كانت تعملان بإخلاص للوصول إلى أغراضها تدفعهما الحماسة التي أثارتهما كلتاهما في قلوب أتباعها .

وقد أجمع أهل ذلك العصر على أن فوشيون كان أشرف رجال السياسة في أيامه - كان رواقيا قبل أن يؤسس زينون الرواقية ، وفيلسوبا من خريجي مجمع أفلاطون العلمي ، وخطيبا يحترم الجمعية احتقارا يستطيع القارئ أن يتبينه إذا ذكرنا له أنها حين صفقت له التفت إلى أحد أصدقائه وسأله :  
« ألم ارتكب خطأ في قولي من حيث لا أدري ؟ »<sup>(٥٨)</sup> . وقد اختير قائدا ( Strategos ) خمسا وأربعين مرة ففاق في هذا بركليز نفسه ؛ وتولى مرارا كثيرة قيادة الجيش وأظهر في كل مرة كفاية عظيمة ، ولكنه قضى معظم حياته يدعو إلى السلم . ولم يكن رفيقه إسكينز رواقيا في معيشته ، بل كان رجلا ارتقى من الفقر المدقع إلى الثراء الواسع ، اشتغل في صباه بالتدريس والتمثيل فأعانه ذلك على أن يكون خطيبا مصقعا ، وأول خطيب يوناني - على ما يقول المؤرخون - يرتجل الخطب ارتجالا وينجح في ذلك أعظم نجاح<sup>(٥٩)</sup> ، بينا كان منافسوه يعدون خطبهم ويكتبونها قبل إلقائها . واشترك مع فوشيون في عدة وقائع حربية ، فأخذ عنه سياسة التراضي مع فليب بدل الاشتباك معه في الحرب ؛ ولما أن كافأه فليب على جهوده استحال تحمسه للسلم ولاء لها وإخلاصا .

واتهم دمستين اسكينز مرتين بأنه يرتشي بالذهب من مقلونية ، ولكنه في كلتا المرتين عجز عن إثبات التهمة . على أن فصاحة دمستين الحربية وتقدم فليب نحو الجنوب أقتعا الاثنيين آخر الأمر أن يمتنعوا وقتنا ما عن توزيع رصيد المناظر وأن يستخدموه في الاستعداد للحرب . ففي عام ٣٣٨ نظموا على عجل

قوة زحفوا بها إلى الشمال للملاقاة فيالق فليب عند قبرونيا البووتية . وأبت اسبارطة أن تقدم معوتها لأثينة ، ولكن طيبة أحست بقبضة فليب تطبق على عتقها فأرسلت فرقتها المقدسة لتحارب إلى جانب الأثينيين ، وقتل الثلاثمائة جندي الذين تتألف منهم هذه الفرقة في الميدان ؛ وحارب الأثينيون بهذه الشجاعة نفسها أو بما يقرب منها ، ولكنهم كانوا قد تباطأوا فوق الحد المباح ، ولم يعدوا العدة للملاقاة جيش المقدونيين المسلح على أحدث طراز . فكانت النتيجة أن منوا بهزيمة شتتت شملهم فقروا أمام بحر الرياح الزاحفة عليهم وفر معهم دمستين . وكان الإسكندر بن فليب يبلغ وقتئذ الثامنة عشرة من عمره ، وكان يقود فرقة الفرسان المقدونية بشجاعة تبلغ درجة التهور أنالته شرف الانتصار في هذه المعركة الحامية الوطيس .

وكان فليب كريماً في انتصاره كرماً تمليه عليه خطته السياسية التي رسمها . نعم إنه أعدم بعض زعماء طيبة المعادين للمقدونيين ، وأقام في تلك المدينة حكومة أجزكية من أشياعه ، ولكنه أطلق سراح الألقى أثيني الذين وقعوا أسرى في يديه ، وأرسل الإسكندر الظريف وأنباتر Antipater العاقل الحكيم ليعرضوا الصلح على أثينة على شريطة أن تعترف به قائداً عاماً لبلاد اليونان . بكلها ضد عدوها المشترك . وكانت أثينة تتوقع شروطاً أقسى من ذلك كثيراً ، ولهذا فإنها لم تقبل هذا الشرط فحسب ، بل أصدرت فوق ذلك قرارات . تكيل فيها الثناء لهذا الأجمنون الجديد . وعقد فليب في كورنثة جمعية (سندريون Synderion) من الدول اليونانية ، وألف منها جميعاً (عدا اسبارطة) حلفاً على نظام الحلف البووتي ، ورسم الخطوط الرئيسية لخطته التي تهدف إلى تحرير آسية . واختير بالإجماع قائداً عاماً لهذه المغامرة الكبرى ، وتعهدت كل دولة أن تمدّه بالرجال والسلاح ، ووعدته ألا يحارب يوناني من أى بلد كان في صفوف أعدائه . وكانت هذه التضحيات كفارة رخيصة للعداء الذي أظهرته هذه المدن من قبل .



شکل ۱۴) و نردیق بنس ، ( محض : آرتیکان بروم )



شکل ۱۵) نیکی پیولیس ( شرف اوج )

ولم تقف النتائج التي تمخضت عنها قبرونيا عند حد . فقد تحققت بها الوحدة التي عجزت عن تحقّقها بلاد اليونان من قبل ، وإن كانت لم تتحقّق إلا على ظبا سيف رجل يكاد أن يكون أجنبيّاً عنها . وكانت الحرب البلويونيزية قد أثبتت عجز أثينة عن تنظيم هلاس ، وأثبتت الحوادث التي أعقبت هذه الحرب عجز اسبارطة عن هذا التنظيم وعجزت طيبة عن بسط سيادتها على البلاد ، وأنهكت حرب الجيوش والطبقات قوى دول المدائن ، وتركتها ضعيفة عاجزة عن الدفاع عن نفسها . لهذا كان من حسن حظها أن تجدها في هذه الظروف فاتحاً معقولا يعرض عليها أن ينسحب من ميدان النصر ويترك للمغلوبين قسطاً كبيراً من الحرية . والحق أن فليب ومن بعده الإسكندر كانا يحيطان استقلال الدول المتحالفة بمجاوبتهما ووقايتهما ، حتى لا تضم إحدى هذه الدول غيرها إليها فيكون لها من القوة ما تستطيع به أن تحمل بينها محل مقدونية . بيد أن فليب قد سلبها نوعاً غالباً من الحرية - ونعني به حق الثورة . فقد كان محافظاً صريحاً ، يرى أن استقرار الملكية حافز لا غنى عنه للإقدام والنشاط ، ودعامة لا بد منها للحكم . ومن أجل هذا حمل المجمع المقدس في كورنثة على أن يضع بين مواد الحلف عهداً يقطعته المتحالفون على ألا يدخلوا في الدستور تغييراً ما ، وألا يبدلوا النظم الاجتماعية بحال من الأحوال ، ولا يتورطوا في الانتقامات السياسية . وكان في كل ولاية يؤيد بنفوذه المدافعين عن الملكية ، وقضى قضاء تاماً على الضرائب الفادحة التي تبلغ درجة مصادرة الأملاك .

وكان قد أحكم وضع نخطه كلها إلا ما يختص منها بزوجه أو بوليبارس Olympias ، ولهذا فإن الذي قرر مصيره آخر الأمر لم يكن هو انتصاره في ميدان القتال ، بل كان عجزه عن الانتصار على زوجته . ولم يكن يرهب منها أخلاقها وحدة طباعها فحسب ، بل كان يرهب فوق ذلك اشتراكها في الطقوس الديونيشية الهمجية . وقد وجد في ذات ليلة أفعى إلى جانبها في

السريير فارتاع ولم يذهب عنه روعه حتى بعد أن قيل له إن الأفعى إله من الآلهة . وأسوأ من هذا أن أولمبياس أخبرته ذات مرة أنه لم يكن والد الإسكندر الحقيقي ، بل إن صاعقة قد انقضت عليها ليلة زفافهما وأشعلت فيها النار ، وأن الإله العظيم زيوس - أمون هو الذى حملت منه بالأمير المقدم . ونفرت هذه المنافسات المختلفة فليب منها فولى وجهه شطر غيرها من النساء ، وشرعت أولمبياس تتأثر لنفسها منه فأخبرت الإسكندر بسر أبوته الإلهية (٦٠) . وزاد الطين بلة أن قائداً من قواد فليب يدعى أتلن Atallus طلب أن يشرب نخب ولد فليب المرتقب من زوجة أخرى وقال إنه الوارث « الشرعى » (أى المقدونى لحما ودما) لعرش البلاد . فا كان من الإسكندر إلا أن ضربه بالكأس فى رأسه وصاح قائلاً : « وهل أنا إذن ابن زنى ؟ » . واستل فليب سيفه يريد أن يقتل به ولده ولكنه كان ثملاً لا يستطيع الوقوف . فضحك منه الإسكندر وقال : « ها هو ذا رجل يستعد للانتقال من أوربا إلى آسية وهو لا يستطيع أن يخطو آمنة من مقعد إلى مقعد » . وبعد بضعة أشهر من ذلك طلب ضباط من ضباط فليب يدعى بوسنياس أن يأخذ له الملك بحقه من أتلن لإهانة لحقت به منه ، فلما لم يجبه الملك إلى طلبه اغتاله (٣٣٦) . وكان الإسكندر محبوباً من الجيش حبا يقرب من العبادة ، وكانت أولمبياس تؤيده (٦١) فاستولى على أزمة الملك ، وتغلب على كل ما لقيه من مقاومة ، وأخذ يعد العدة لفتح العالم .

(٥) وكان يظن أنها هى التى حرصت بوسنياس على قتل فليب .